مصيف حمّانا

يقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعي

ايّ مصيف من مصايفنا تفضّل على سواه لنأوي اليه في فصل الحرّ؟ ذاك مشكل لا يسعنا حلّهُ والجبال في بلادنا سلسلة محطّات حسنة المناظر غزيرة المياه صافية الهواء تمتدّ من الشمال الى الجنوب من بيلان الى صنّد وتدعو اليها القاصي والداني من وطنيّين واجانب من سكّان سورية ومصر والعراق

والحقّ يُقال انّهُ ليس مقام من مقامات الاصطياف يفاخر غيرهُ بصفة الّا كاد يضاهيهِ آخر بمثلها فيحق فيها جميعاً وصف الشاعر :

« وللمياه ابنٌ تذوب منهُ الصخورُ
وللنسيم حديثٌ على الروح يدورُ
وللازاهير فكر يرويه عنها العبيرُ
والبدرُ في الغيم يخفى آنًا وآنًا يثورُ
والسحبُ شبه جوارٍ لديهِ وهو امرُ
تدنو اليهِ فتاقى تحيّةً وتسيرُ
مناظرٌ راقاتٌ يسرّ الفكر »

(ديوان خليل بك مطران ص ١٥)

وانّ حمانا مصيف من مصايف لبنان فنهُ شهرتها وبهِ تباهي غيرها من القصبات بجودة هوائها ومنابع مياهها وطيبة اخلاق سكانها

نعم ان فوائد حمانا ومحامدها مشتركة بينها وبين كثير من المساكر اللبنانية. كيف لا وعالميه تفاخر بمناظرها وبكفيا بغاباتها وبيت شباب بكنائسها واديرتها وبسكنتا بصنينها وفالوغا بمياهها وبيت الدين بآثارها وزحلة باسواقها وفنادقها ومدارسها

ولكن هل من مصيف يشمل هذه المحاسن كافةً كمصيف حمانا ؟ وفيها من آثار ادبيّة وتاريخيّة ومياه صحية ومناظر جميلة ومعشر لطيف ومحيط ادبي وحياة راحة

وطمأنينة ما يجعلها محجة المصطافين من مريض منحرف المزاج يبتغي العزلة عن ضوضاء العالم وصاحب عمل خطير من رجال المصارف والوظائف يتوق الى ترويح الروح والبدن بين شلالات الشاغور ومنعطفاته وكاتب اديب وشاعر رقيق يشوقه الاطلاع على اسرار الطبيعة وبدائعها فينظر اليها وهو يتغنى بذكر لامارتين الذي وصف حمانا وصفاً مسهباً وترك لها من يراعه ذكرًا مخلدًا

وقد أتيح لنا ان نحتل مرارًا ربوعها فراعتنا محاسنها. ومن ثمَّ احببنا ان نفرد لها مقالة خاصَّة بياناً لفضلها وتشويقاً لزوارها(١)

ملامحها الجغرافيَّة

اذا ارتقيت الجبل من بيروت عن طريق الشام الى محطة بحمدون الخط الحديدي والتفتَّ منها الى الشرق وقع نظرك على وادي حمَّانا الشهير في هذا الوادي عند مرتكز جبل الكنيسة من علو ١١٠٨ امتار وفي بقعة مساحتها تبلغ ٩٠٠٠ متر مربع شيَّد اهل حمانا بيوتهم في ارض يتخلَّلها قمم ومنعطفات مع انحدار من الشرق نحو الغرب يناهز ١٣٠ مترًا

وقد منَّ الباريء عزَّ وجلَّ على هذه البقعة الجميلة بهواء طيب صافٍ يهبُّ عليها صيفاً من البحر وشتاء من الشرق فتارة يحمل اليها نسمات الغاب المطيَّبة برائحة الصنوبر وتارةً ونفثات الحرّ الجنوبي فينشّف رطوبتها وينشر فيها لواء الصحَّة واعتدال المناخ. فان ارتفاع الحرارة يتفاوت فيها صيفاً بين الدرجة ٢٠ و٢٦ من الميزان المئوي ويعادل الدرجة ١٤ في الشتاء. واذا نظرنا الى الخارطة وجدنا مركز حمَّانا في الدرجة الرابعة والثلاثين بعدًا عن الخط الاستوائي في النصف الشمالي من الكرة الارضيَّة. وانَّما تظلّ حمانا متمتعة باعتدال الهواء بفضل علوّها على سطح البحر

أمَّا حدود حمانا فهي في الشرق القسم التي تملو الشاغور مع جبل الكنيسة. وفي الغرب الوادي الشهير المسمَّى باسمها. وفي الشمال نهر ابو اسين. وفي الجنوب طريق الشام

(١) عوَّلنا في مقالنا عن تلميحات اخذناها من زعماء البلدة وخاصة من الاستاذ الفاضل بطرس افندي وعد

وانْ وصفها هـذا يبين انك ان موقعها على مفـارق الطرق بين شمالي لبنـان وجنوبه . وقد يحسبون بالخمسين او الستين عدد السيارات التي تجتاز البلدة يومياً في فصل الصيف ايابا وذهاباً بين ظهور الشوير وبيت الدين وبيروت وزحلة . وقد بذلت هيئة بلدية حمانا همةً محمودةً في تمهيد الطرق وتهيئة سائر ما يرغبه السُّوَّاق لسيرهم من امن وراحة . فانهم يجدون في ساحة البلدة المعروفة بالميدان مياهاً غزيرة تجري ليلاً ونهاراً ومستودعات لتصليح الآلات ومخازن للبنزين . اما القرى المجاورة لحمانا فهي شمالاً فالوغا ذات المياه الصحية[1] وقرنائيل وبتخنيه القريتـان الزاهيتان بنضرة الاشجار وصنوف الخضراوات وغرباً دير الحرف المتنصبة في وسط وادي حمانا على قمة عالية . وبتريم والخريبة والشانية مركز البطريركية للسريان الكاثوليك سابقاً . وقبَّيع والقُرَيَّة المعروفة بعامل الحرير وهذه القرى كلها عامرة حافلة بالسكان . وجنوباً صوفر والمديريج وفيهما اقرب محطات السكة الحديدية من حمـانا عن بُعد دقائق معدودة بالسيارة واقل من ساعة للماشي

واذ كانت حمانا ما بين تلك القرى كالنقطة في وسط الدائرة فـلا عجب ان جعلتها الحكومة مديريةً المتن الاعلى ومركزاً للبريد والتلغراف ومقاماً لكومندان جندرمة . اما مديرها فهو الشاب الراقي والاديب الهمام ميلاد افندي رزق الله صاحب دليل الشوير وكاتب المقالات الشائقة في الجرائد . ورجال الدرك يسهرون فيهـا على حفظ الامن مع حضرة شيخها فهد وامين افندي نمر وئيس بلديتها ويبذلون قصارى الجهد في سبيل راحة الاهلين وهناء المصيفين

﴿عدد سكان حمانا﴾ خمسة آلاف منهم الثلثان مهاجرون وهم ينتمون الى ثلاث أسر خاصة اعني الى بيت حدشيت وهؤلاء اصلهم من حدشيت . والى بيت حـاتم واصلهم من خفد . والى بيت ابي يونس واصلهم من جبج . وفيها بيت الشيخ اسماعيل مزهر مقدَّم دروز تلك الناحية

ويقـال بالاجمال عن اهل حمانا المهاجرين انهم نجحوا في مساعيهم لانـهُ بفضل

---

١) راجع مقالة عين الصحَّة ثلاب شيخو في المشرق (١٤ [١٩١١]: ٩٠١) وقد نُشرت على حدة في المطبعة الكاثوليكية ١٩١٢

كذهم وعنانهم تجددت البنايات في حمانا تعارها سقوف الآجر الحمراء القانية تبهج النظر بين خضرة الاشجار (١)

فلا عجب ان ترى في البلدة فنادق تضاهي اشباهها في المدن كفندق بيت عساد

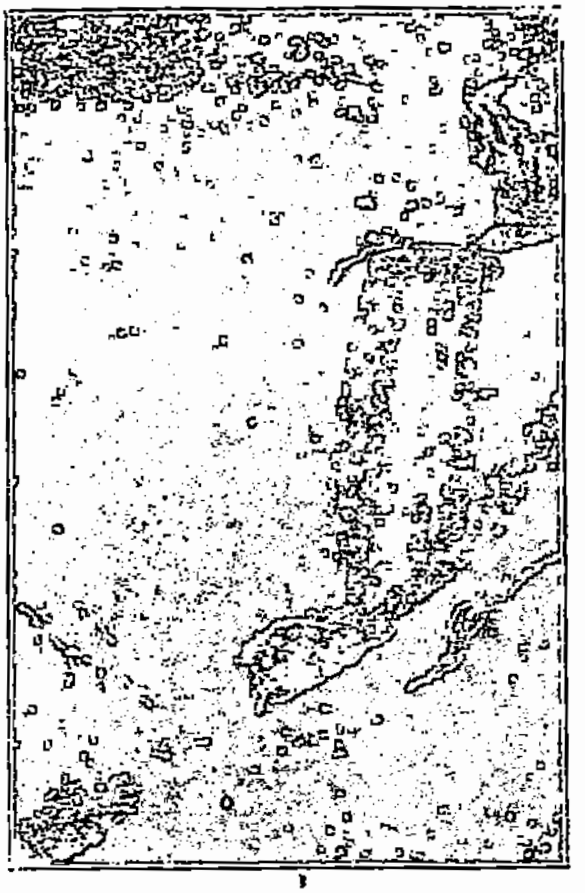

شلال الشاغور

(١) وقد اشتهر بين المهاجرين المسمّى ادوار شهدان نمرا المولود في حمانا ونزيل الولايات المتحدة يذكر مواطنوه قوّة ذراعه بحيث كان يستطيع اذا اضجع على ظهره ان يحمل على بطنه حجر الطاحون . وهم ينسبون قوّة هذه الى شربه من مياه حمانا

(٢) هذه الصورة والتي بعدها من تصوير فارس اخوان في حمانا

المعروف بشاغور بالاس (Chighour Palace) ولوكندة الشوري ولوكندة نسيب حاتم واوتيل عين الحصي

مياه حمانا

تعدّ ينابيع حمانا بالمئرات فهي تتزقرق ليلَ نهار بين البيوت والباتين فلا

جنادل الشاغور في اعلاه

يتفكّ خريرها مسموعاً. ونذكر أننا في اوّل ليلة قضيناها هناك أفقنا من نومنا اذ سمعنا صخب مياهٍ جرّارة تدوي. فخيل لنا أنّهُ من انواء الشتاء. فنظرنا واذا اديم السماء نيّر

صافٍ . فعلمنا انها مياه الشاغور المتحدرة من اعلى حمانا الى اسفلها فلا يفتر ضجيجها ولحمانا من العيون ما لا يكاد يحصى كعين الصفصافة وعين روفائيل وعين العصافير وعين المرتب وعين النسور وعين الحاووز وعين سلطان سرجل وعين بو حاتم

اما لو شئت ان تتبع انار مياه حمانا من مجاريها الى ينابيعها وجدتها على هيئات تأخذ بمجامع البصر فمنها ما ينساب في المروج انسياب الحيات . ومنها ما يجري في الجداول كاللجين . ومنها ما ينبع بين الصخور فيتدفق ويتهافت الى بطن الوادي . واذا ملكها الشاغور ينبجس من ينبوعه طافحاً صاخباً مسرعاً الى الانحدار تتلاطم امواجه بالصخور فتفور وتزبد حتى اذا غلبتها ولم تجد في سبيلها عائقاً ترامت بلجيج هائل من سطح الجبل الى اعماق الوادي تتبلغها متكسرة متناثرة ثملا الانضاء رذاذاً تظهر من خلاله الوان قوس قزح . تلك شلالات الشاغور الشهيرة

كل هذه المياه تروي حمانا وتسيل الى بيوتها ومنها ما ينبع بجوارها فان حولها ما ينيف عددهُ على مئة عين . ومما يدلّ على غزارة مياهها انّ عدداً عديداً من الطواحين تدور على مجاريها . وهي تولّد الكهربا في المعمل الذي شاده حضرة الوجيه فهد شيخ البلدة فينير بضيائها البيوت والازقة . وكم هناك من القوى الطبيعيّة لا تزال ضائعة ريثما يقوم احد رجالها ذوي الاريحيّة فيستفيد منها لتدوير المامل فتزيد بها ثروة البلاد

ومما سُرَّ به اهل حمانا اكتشافهم حديثاً على نبع يدعونهُ عين الميطرة واقبلوا على مياهه لفوائدها الصحيّة فعرضها شيخ البلدة على استاذ الكيميا الطبيّة في معهد الطبّ الفرنساوي الدكتور جيج ليحللها فاستحسنها ووجد انّ ماءها شروب لا يتسبب فساد اذا حُفظ في القناني

ولا عجب بعد هذا من خصب تربة حمانا التي تزكو فيها المزارع من حبوب وبقول واشجار مثمرة كالكرز والخوخ والتفاح والتين والكرمة والتوت . ولفاصولية حمانا واشكالها الخمسة شهرة واسعة يقدّرون غلّتها السنويّة بثلثمائة وخمسين قنطاراً واشهرها الفاصولية البيضاء البالغ مقدارها ٢٠٠ قنطار . ويستغلّون من بقيّة المزروعات ما يساوي نحو ٣٠٠٠ ليرة سوريّة . لكنّ قحطها لا يقوتها الّا ربع السنة

ولحمانا بعض الموارد المالية من السائمة فيرعى في ربوعها زهاء الف رأس غنم كل رأس غلّتهُ خمس ليرات سورية . وفيها من الابقار عدد يصلح لفلاحة اراضيها ويزيد عنها

اما ﴿الصناعة﴾ فلحمانا فيها مكانة ممتازة للحرير . لها خمس معامل يبلغ عدد دواليبها ٢٧٠ يشتغل فيها ٣٠٠ عامل يحلون في العام زهاء خمسة عشر الف اقة من الفيالج ويحولونها الى ١٥٠٠ كيار من الحرير يبيعونه اما في سوق ليون في فرنسة واما في دمشق الشام

وبما ان موقع حمانا الجغرافي يجعلها محجّة القرى المجاورة فلا يزال سوقها رائجاً حافلاً بسائر ما يحتاج اليه القرويون للأكل واللبوس والسكنى . وربَّ رجل يحتاج الى عامل نشيط حذق يطلبهُ في انحاء الجبل فلا يجده ويصادفهُ في حمانا . وحسبي في هذا الصدد ذكر المعلم سليمان داود ايوب السنكري فانهُ اتقن مهنتهُ في البرازيل وعاد الى بلدته بآلات حديثة الطرز تمكنه من صنع اواني شتى ومعدات نافعة جداً لترتيب المنزل وذلك باتقان وبسرعة مدهشة . فيتهافت المواطنون على معمله من حمانا وجوارها

تاريخ حمانا وآثارها

قد ذهب المفسرون الى آراء متباينة في تفسير اسم حمانا نوردها هنا على علاتها . فزعم بعضهم دون سند بانها بمعنى العبرانية يُراد بها الموقع العالي . ومثلهُ ضعفاً قول غيرهم انها حصون البلدة المذكورة في سفر يشوع (١٩ : ٢٨) ومن المعلوم انَّ حدود بني اسرائيل لم تمتدَّ الى هذه الانحاء من لبنان . ودون ذلك صحّة قول بعضهم انَّ «حمانا» هي العربية «حمّانا» جعلها بعض الامراء تحت حمايته فنسب حماها الى شخصه

ويظنّ غيرهم انَّ بين اسم حمانا والاله الفينيقي حصون علاقة . وليس ذلك بالامر المستبعد . والاصحّ ان يُرجع في تفسير اسم حمانا الى اصل الكلمة في اللغات السامية عموماً الى ثلاثي الكلمة «حمم» بمعنى الحرارة والسخونة اشارةً الى ما كان فيها قديماً من المياه المعدنية فيستحمُّ الناس في مياهها والله اعلم

وما لا شكَّ فيه انَّ حمانا يرتقي اصلها الى ما قبل عهد المسيح فيُستدلّ على قدمها بما عثروا فيها مراراً من نواويس وآنية خزفية كالآثار الموجودة في القبور والمقابر الفينيقية . وقد وجدوا عند سفح الجبل المؤدي الى الشاغور حجاراً كبيرة اشبه بحجارة الابنية الرومانية في هياكل جديتا والفرزل وبعلبك . وروى لنا الثقة انهم وجدوا باباً من الصوان يدور على محجر (جارور) مثله وقد بقي دفيناً تحت البناء الذي شادوهُ

فوقه . وقد عثروا كذلك على طائفة من النقود القديمة فاصبت بها ايدي الضياع

وفي اعالي الشاغور كهف كبير في جوف الصخر يؤدّي الى ممرّ ضيّق واطئ لا يجتازهُ الرجل الّا زاحفاً على ركبتيه فدخلناهُ ولم نبلغ الى نهايته فـذكّرنا بكهوف نهر الكلب الشهيرة

اما تاريخ حمانا الحديث فأجلى بياناً . فانّ المسلمين ثمّ الدروز سكنوها منذ عدّة قرون . ومن الآثار المثبتة بذلك صفيحة ضريحيّة منقوشة جميلة الصنع يحفظها آل مزهر في دارهم في حمانا وعليها كتابة تشير الى وفاة احدهم في القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للمسيح هذا نصُّها :

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

درج بالوفاة الى رحمتـه تعالى المقدّم صـارم الدين ابن ابرهيم ابن مزهر ابن ابرهيم ولد حسين ابن محمد

ربيع الاول سنة ثمانية وثمنين وثمانمائة (١٤٨٣م)

وكان الدروز في حمانا ينقسمون الى اربعة بطون : ١ً بيت مزهر وهم المقدمون . ٢ً بيت التيماني ولا زال منهم الى يومنا بيت فايفـل . ٣ً وبيت شيطيح . ٤ً وبيت عبيد ومنهم بيت بيادر في يومنا

واول من استوطن البلدة من المسيحيّين على ما يُروى الخوري عبدالله الحدشيتي اذ تدخّل بين الدروز وهم على اهبة القتال بعضهم لبعض فصالحوهم فعرفوا فضلـه عليهم فذكروه ارضاً في بلدتهم وعلى هذه الصورة رسخت قدم المسيحيّين في حمانا

وفي ذلك العصر (الخامس عشر للمسيح) كان الحكم للمماليـك مصر في سوريا وكان لبنان قد نالهُ ما نال سائر البلاد من النكبات بالحروب المتواصلة (١

وظلت حمـانا قرية درزية حتى النصف الاول من القرن التاسع عشر لان الشاعر لامارتين زارها في العام ١٨٣٣ فوصف قصرها وصفاً مسهباً بالغ فيه مبالغة الشعراء

١) (راجع تاريخ بيروت وامراء الغرب لصالح بن يحيى)

وذكر شيخها وهو آنئذ في عزه فقال :

« على مشارف وادي حمانا بدت قرية احدثت منذ اسمها فدعوها حمانا وهي درزية . طرحت مطارحها على الحروم والصروح المتصلة بالثلوج الابدية وبنت لشيخها داراً في القمة المتوسطة العليا وتسوّرت بغديرين عميقين يزبدان بين الصخور المتراكمة فلا يجتازهما المسافر الأعلى اخشاب من الصنوبر مغشّاة بالقراب . . .

« اما قصر الشيخ فهو اظرف ما رأيتهُ من بعد قصر الامير بشير في دير القمر وهو يحاكي بجماله ابدع ما ابتدعه العمار البيضوي (١) في بنايات قصورنا في القرون الوسطى . وقد عُقدت منافذه بالقوس البيضوي على الطرز القوطي وازدانت بالمشارف واتسع بابه وتجلّى برسم ناقةٍ من فوق كأنه الرواق على عتبة الدار وعلى جانبي الباب مقدان من الحجر المنقور الموشّى وامام الباب سبع او ثمان درجات حجرية على شكل مستدير يُنحدرُ منها الى باحة واسعة مظلّلة بشجر الصنوبر في وسطها حوضٌ من الرخام يتبجّس منهُ الماء

« وهناك سبعة او ثمانية رجال من الدروز تسلّحوا وبرزوا بثيابهم الفاخرة الزاهية الالوان معصّبين رؤوسهم مضمّخين عمائمهم واقفين وقفة الشجعان كأنهم يلتمسون امر زعيمهم

« وكان ايضاً هناك عبدان اسودان عليهما ثوب ازرق وغيرهما من العبيد والغلمان قاموا يلعبون على الدرج في حضرة الشيخ وهو جالس على الباب تحت القنطرة بيده الغليون وعلى اكتافه وشاح احمر ينظر الينا بعينه نظرة العظمة والكفاءة

« وزد على ذلك امرأتين في ريعان الصبا والجمال احداهما متكئة على المنافذ العالية والاخرى واقفةً في المشرف فوق الباب »

على انه لم يبقَ من هذا المجد الباذخ والعزّ الشامخ الّا اثرٌ بعد عين فلا يجد منه الزائر في الحاضر الّا الباحة الشمالية يظلّلها شجر الميس . امّا الباب القديم فقد تغيّر هندامهُ وتجدد بنيان القصر فاصبح داراً يسكنها الخواجا بشاره روفائيل مدير البوسطة والتلغراف والمقدّمان اسماعيل ورشيد مزهر الدرزيان

والمرجّح ان معظم الدروز أجلَوا عن حمانا بعد الحوادث المشؤومة التي سالت فيها دماء المسيحيين وحُرقت بيوتهم في العام ١٨٤٥ وخاصةً في العام الذي يليه . ولم تخلُ آنئذ أُسر كريمة من الدروز حافظوا على حرمة الجوار ودافعوا عن مواطنيهم بشهامة . ففي تلك السنة التعيسة كان عدد وافر من المسيحيين قد لجأوا الى بيت المسيو برتران الافرنسي . فادركهم المدو ليعمل فيهم السيف واذا بدرزي اسمهُ حسين بو حسين من قرنائيل اتى لنجدتهم فاخرجهم من باب سرّي الى موضع امين ظلوا فيه الى ان رافقهم

(١) تعريب (ogival) بالبيضوي اصلح ما يُعبَّر به عن قوس مكسور على هذا الشكل . يشبه حنايا البيضة . والبنّاؤون حاضراً يدعون هذا الشكل بداثرة البيضة كما قال لي احدهم

النجدة من العسكر الافرنسيين . ولما احتل الافرنسيون الجبل نزل منهم ٢٠٠ في قصر مقدم الدروز في حمانا

وبعد حوادث السنتين اخذت حمانا تترقى شيئاً فشيئاً لاسيما بعد أن فُتحت طريق المربات بين بيروت ودمشق سنة ١٨٦٣ وكانت حمانا قبل ذلك الطريق المسلوكة بينهما تمر بها القوافل والمُكارون . وكان سكّان حمانا مشهورين بسخوتهم وعطفهم على ابناء السبيل فاذا اصيبت قافلة بانواء الشتاء في اعالي الشاغور واحاط بهم الضباب فضلّوا الطريق استصرخوا اهل حمانا فينهضون لنجدتهم ويطلقون بنادقهم ليعرف بعضهم بعضاً ويرتشد الضالّون بعلاماتهم ولا يعودون حتى يسلم المسافرون من الهلاك وهم لا يتقاضون منهم اجرة عن هذا الفعل المبرور

وفي احدى السنين أصيب بمثل هذه الداهية احد باشارات الاتراك وكاد يتلف بين الثلوج المتراكمة لولا نخوة اهل حمانا الذين سعوا في نجاته فوعدهم بتخفيف ضرائب الدولة عنهم مكافأةً لمروءتهم

وكان في محلّ الشاغور مجاز يصعب على المسافرين قطعهُ وكثيراً ما هلك الناس عندهُ كان يُدعى بالمغيطة فضربهُ العامّة مثلاً اذا دعوا على احد بالهلاك فيقولون « يا ليتك تضحك بالمغيطة» مشيرين الى الميت الذي يكشر عن اسنانه عند هلاكه بالبرد

وكلّ هذا قد دخل اليوم في خبر كان يفكه به الشيوخ اولادهم

ومنّ اشتهروا في القرن السابق من اهل حمانا عيد حاتم المولود سنة ١٨٠٩ والمتوفى سنة ١٨٨٦ دخل في خدمة حكومة لبنان في عهد الامير بشير فقدّر خدماته ورفع مرتبتهُ ثمّ تقلّب في مناصب الحكومة بعد حوادث السنة ١٨٦٠ حتى سنة وفاته مع تغيّر حكّام الجبل فخدم بلادهُ بكل نزاهة نحو خمسين سنة . وكان على جانب عظيم من التقوى وروح الدين يلازم مناولة الاسرار المقدّسة ويصوم يومي الاربعاء والسبت على الخبز والماء ولا ينقطع عن الصلاة

ومنهم ايضاً المرحوم ضاهر نجم الذي خصّ نفسهُ بتعليم صغار وطنه قبل ان تفتح المدارس في الجبل . ولسنا ننسى ذاك الاستاذ النشيط المعلّم ناصيف الزغزغي الذي نشأ في حمانا ثمّ خدم الناشئة بنشاط لا يعرف الملل لاسيما في بكفيا تحت نظارة الآباء اليسوعيين فهذّب كثيرين من الرجال الذين يفاخر بهم وطنهم حاضراً

الدين والعلم في حمانا

في حمانا ثمان كنائس اربع منها للموارنة وهي تحت اسم المخلص والسيدة ومار جرجس ومار رومانوس وفيها كنيسة للروم الكاثوليك وكنيسة للروم الارثوذكس. وهناك معابد غيرها منوط امرها بالرهبانيات اعني كنيسة مار انطانيوس للرهبان اللبنانيين وكنيسة دير راعي الصالح ومعبد راهبات القلبين الاقدسين

ومن الامور المقررة تقوى اهل حمانا وغيرتهم على دينهم وكنائسهم واكرامهم لشفعاء بلدتهم. فمن العادات المألوفة عندهم انهم اذا احتفلت كنيسة بشفيع لها تقاطر اليها جميع المؤمنين لاكرام صاحب العيد وفيها يقيم كهنة البلدة جميع القداديس

ولراهبات القلبين الاقدسين فضل عظيم في نجاح الاخويات المريمية للنساء والفتيات اللواتي يلتئمن يومي الاربعاء والاحد في كنيسة السيدة لاكرامها

ومما راقنا الاطلاع عليه من آثار البلدة هو كتاب وقائع دير راهبات القلبين الاقدسين فكأنه ملخص تاريخ البلدة الديني منذ دخلتها الراهبات الى يومنا اي من ٥ كانون الاول من العام ١٨٩١ اذ فتحت الاخت مرغريت شامي والاخت مريم خوري مدرسة حمانا لاول مرة. وقد اثمرت مجهوداتهن ثمارًا يانعة لان المدارس في حمانا زاهية مزدهرة تأوي اليها الناشئة كما تأوي الطيور الى اغصان الاشجار الفتانة

وللصبيان في حمانا مدرسة عامرة معهود تدبيرها الى الاباء اليسوعيين يزيف عدد تلامذتها على المئة. وفي اعالي القرية بجوار دير مار انطانيوس مدرسة اخرى داخلية للبنات منوط شأنها براهبات الراعي الصالح عدد تلامذتها يزيف على الثمين بين فتيات يقصدنها لطلب العلم ويتيمات يجدن فيها عناية تنوب عن فقد ابوين وقد يتقدمن الامتحان السنوي للحصول على شهادة الحكومة للتعليم الابتدائي

ولراهبات القلبين الاقدسين مدرسة اخرى للبنات يزيف عدد تلامذتها على المئة. كل هذه المعاهد تجمع على مقعد واحد المسيحي والدرزي والماروني والارثوذكسي وتلقنهم مع العلوم المحبة المتبادلة بين جميع العناصر ومعرفة واجباتهم نحو الله ونحو البشر

ومما لا يحسن ذكره مع تعاقب الايام هو العناية التي بذلتها الراهبات ايام الحرب العظمى في تربية الايتام فقد كنّ لهم امهات حنونات والبعض منهم قضين نحبهن في

خدمة هؤلاء الصنار فاستحقّقنَ ان نذكرهن في هذه الاسطر دليلًا على شكر حمانا ومعرفتها للجميل

ولا بأس ان نختم هذه المقالة بأسطر مما تغنّى به الشاعر لامرتين في وصف حمانا لمّا مرَّ بها في ربيع سنة ١٨٣٣ بعد فقده لكريمته جوليا في بيروت فكأن منظر حمانا لطّف شيئاً من لوعته فافاض في وصفها

اليك بعض ما قالهُ وهو مطلّ على حمانا من اعالي الجبل

«وادي حمانا مسرحُ الجمال فهو ابهى ما يُتاح لعين انسان ان تحدق به في محاسن المليحة ' هناك غورٌ حالك الظلمة عميق تمالهُ كهفاً منقوشاً في مشارف الصخور التي تكسوها الثلوج اللبنانيّة ' هناك سيلٌ مزبد ينحدّر هابطاً من صخرة الى صخرة ومن درجة الى درجة فيخترق بحنادلهِ اعماق الغور ويخذُّ لهُ بسيلهِ اخدوداً تيّاراً رجراجاً . . .

«على الآكام المحدقةِ بهِ ضيعٌ تفصلها بطاحٌ واخباد يظللها الصنوبر ' هناك دير جميل تحدق به المراقي المزدرعة التي تسقيها المياه الغزيرة المنحدرة عن شلّالات لا يُحصى عدُّها . . .

«بدا لي وادي حمّانا والشمس ترسل على مشارفهِ اشعّتها الاخيرة فتكسو بأنوارها سطوح البيوت ورؤوس الاشجار وتُلهم الجبال بينا تتفجّر المياه الفوّارة من شقوق الصخور وتهبط من جهات الجبلين فتترتّب بيضاء كالماجين ناصعةً كالثلج على شكل ذراعين جبّارين قد همّا بتطويق ارضٍ افضت ركنًا للاديرة والقرى وتربةً يُنشب فيها الصنوبر جذوره . ويُسمع هناك عجيج يضجُّ لهُ الفضاء فتحسبهُ ارواق ارغنٍ عظيم تملأ اصواتهُ ارجاء الكنائس . . .

«جمال الطبيعة في الجبال شجاً وورعٌ وحنينٌ وهواجس تضغط على القلب كالصلاة في ساعة المصيبة والاسى . . . سرنا على اطناف المشارف تحفُّ بنا المياه منهالة على رؤوسنا فتسيل كأنها المراريب وتنصبُّ من سقوف الجبال الشامخة على سفوحها» . . .

وقد اتّسع لامرتين في وصفهِ فزيّن حمانا وربوعها ووادِيها بحلى من قاموسهِ الفنّان حتى نُسب الى الغلوّ . لكن في وصفهِ مسحة من البهاء الذي كسا بهِ خالقُ الكون جبلهُ لبنان فلهُ سبحانهُ وتعالى العزّ والمجد في سائر مخلوقاتهِ